

نظرات حول مقال الصحفي "أرييل ديفيد"

"قبل الإسلام: عندما كانت المملكة العربية السعودية مملكة يهودية"

Views on "Ariel David" article

Before Islam: When Saudi Arabia Was a Jewish Kingdom

أ.د. سليمان بن عبد الرحمن الذبيب

مستشار مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
قسم شبه الجزيرة العربية - جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا -

EMAIL solali999@yahoo.com

تاريخ القبول: 2021/10./09

تاريخ الاستلام: 2021./08./26

ملخص:

يتناول هذا المقال قضية قديمة جديدة تتمثل في يهودية مملكة حمير في فترة من فترات التاريخ خاصة إبان الصراع مع مسيحيي المنطقة؛ وكان مما أعاد هذه القضية إلى الواجهة نتائج البعثة الفرنسية-السعودية التي سجلت مجموعة من النقوش العربية المبكرة، وهذه النقوش التي وجدت في موقع حمى الأثري عبارة عن "23" نقشاً تذكاريًا، منها "11" نقشاً رافقها رسم صليب، تسعة منها تعود إلى شخص يدعى "توبان بن مالك". وهو ما جعل البعض يرى أن اليهودية انتشرت بشكل رسمي في فترة الملكين: أب كرب أسعد (410-435م)، ويوسف أسار (517-525م). وفي هذا المقال تناولنا نبذة مختصرة عن أحوال المنطقة في تلك الفترة، المملكة الحميرية والحبشية التي حملت لواء المسيحية في المنطقة، وتفنيد الأقوال التي ترى يهودية حمير، وهيمنتها على شبه الجزيرة العربية. المملكة العربية السعودية، اليمن، حمير، الحبشة، اليهودية، حمى، يوسف أسار. المفاتيح:

Abstract:

This article addresses the issue of Judaism and the Himyarite Kingdom in one of its historical periods, mainly during the conflict with the Christians of the region at that time. This issue was brought back to the fore because of the French-Saudi mission that recorded a group of early Arabic inscriptions which was found at the archaeological site of "Hima". They are "23" memorial inscriptions, including "11" inscriptions accompanied by a cross drawing, nine of which belong to a person named "twbān son of māl̥k". Some believe that Judaism was officially spread during the time of the two kings: ʾb krb ʾsʿd (410-435AD), and Yūsʿf ʾsar (517-525AD). In this article, we give a brief summary of the conditions of the region in that period, the Himyarite and alḥbašh Kingdom, which carried the banner of Christianity in the region, and refuting the sayings that the region was dominated by Judaization during Himyar's time.

Keywords: Saudi Arabia, Yemen, Himyar, alḥbašh, Hima, Judaism Yūsʿf ʾsar.

مقدمة:

تستمر قضايا عدة في التاريخ لعقود، وأحياناً إلى ما لا نهاية، مع أنها من تأليف مؤلفيها، وبعيدة عن الحقيقة؛ تتدخل المؤرخ -آنذاك- في نسج خيوطها وبنائها مع أن أساسها أوهن من بيت العنكبوت.

وقد يسأل أحدهم كيف تكون هذه القضايا مثل "بيت العنكبوت" وتستمر حية في الذاكرة التاريخية كل هذه القرون؟ والإجابة بسيطة جداً فهذه القضايا أو الأحداث -في أحيان كثيرة- تؤدي دوراً إيجابياً في ذاكرة المجتمع المحلي؛ لذلك يبقينا هذا المجتمع في ذاكرته مستلهماً منها ما يسعده وأحياناً ما يُخدره ليقبل أو يتقبل وضعه الحالي.

ومن هذه القضايا التي لا تعتمد على أساس متين وصلب، ادعاء البعض أن هناك مملكة يهودية نشأت في شبه الجزيرة العربية خصوصاً جنوبها، وأنها تمكنت من السيطرة إضافة إلى اليمن على المملكة العربية السعودية حتى وصلت إلى غربها وتحديداً المدينة المنورة.

وهذه الروايات التي ما زالت تجدُ آذاناً صاغية في كُتُبنا التاريخية المعاصرة مصدرها -مع الأسف الشديد- كُتُب التاريخ التي تناولت تلك المرحلة "المظلمة" والتي خطّها بنو جلدتنا فأدخلوا لأسباب سياسية، وقتها لا ما يسميه البعض مبالغات؛ بل أساطير وأكاذيب يعمل البعض اليوم في جعلها حقيقية.

وهناك فريقان في تناول هذه القضايا وإبقائها في الذاكرة الثقافية التاريخية المحلية، الأول يأمل من إبقائها بهدف بث روح التفاخر والاعتزاز في بلاده ووطنه وبين أفراد مجتمعه في مسعى منه إلى شراء حاضره التعتيس بماض يدعي أنه مجيد. أما الثاني مع علمه أنها ليست إلا أساطير، فيستخدمها لتمرير أجندات سياسية معينة.

نجدُ الفريق الأول -مع الأسف الشديد- بشكل واضح إما لدى بعض هواة التاريخ بين أبناء المجتمع المحلي أو عند المتأدلين السياسيين، في محاولة منهم طمس واقعهم الذي قادت إليه سياسات حكوماتهم المتتالية منذ عقود. أما الفريق الثاني فهم في قضيتنا هذه "أصحاب الديانة اليهودية" الذين لا يتركون فرصة دون استغلالها مهما كانت هشاشتها لتمرير أجنداتهم السياسية ويلجئون منها بأسلوبهم لبث أفكارهم وفرضها على طاولة البحث التاريخي.

وذكرتني محاولة البعض إحياء القول بتهود بعض ملوك اليمن "المملكة اليهودية" أيامنا هذه بحادثة شهدتها بنفسها قبل سنوات لا تزيد عن الخمس عندما لبيتُ دعوة لحضور مؤتمرٍ في دولة كندا اقتصر على المدعويين، كان من أهدافه تمرير فكرة مفادها: "أن من طوّر الخط العربي الحالي هم مجموعة من "اليهود" الذين استقروا في شبه الجزيرة العربية".

وفي هذه المقالة أحاول بجهد المُقلّ لفت الانتباه إلى حقيقة ما اسماء البعض "المملكة اليهودية" وإلى المغالطات والأساطير التي انتهجها لأهداف سياسية المؤرخ العربي المسلم إبان وهج الحضارة الإسلامية، فمزج الأسطورة بالحقيقة وأخرج ملاحم يصعب كثيراً إخراجها من ذاكرة التاريخ، لأنها بكل بساطة تخدم البعض ولو كانت بشكل خاطئ.

مدخل:

أمسك الصحفي "أرييل ديفيد" في مقالة صحفية نشرها في جريدة هارتر الإسرائيلية في: 29 من نوفمبر للعام الميلادي 2017 (<https://bit.ly/3rEkgZm>)، بنتائج البعثة الفرنسية -السعودية والتي عملت لأكثر من ثمان مواسم في منطقة نجران بقيادة الفرنسي "روبان"؛ والأخير باحث فرنسي أمضى جزءاً كبيراً من حياته العملية وبدعم لا محدود من حكومة بلاده (خصوصاً وزارتي التعليم والخارجية) في دراساته وأبحاثه عن كتابات جنوب شبه الجزيرة العربية وتاريخه. وقد منحه

رئيس اليمن السابق "علي عبدالله صالح" وسامًا رفيعًا نظير جهوده في ما اسموه "خدمة تاريخ اليمن وحضارته". وعندما بدأت حرب اليمن الداخلية، قرر نقل نشاطه إلى المملكة العربية السعودية، ونظرًا لعلاقاته الشخصية مع بعض المسؤولين في "هيئة السياحة والآثار" -آنذاك- سُهدت مهمته بشكل كبير ومُنح ترخيص "مسح منطقة نجران" بهدف توثيق نقوشها ودراساتها؛ ولاحقًا -بعد الاعتداءات الحوثية واضطرار المملكة -حفظها الله- الرد عليهم، انتقل عمله من نجران إلى مناطق جنوب منطقة الرياض وغربها.

ومقالة الصحفي "ديفيد"، إيطالي الجنسية "يهودي" الديانة -حسب "جوجل"- متحمس بشكل واضح لخدمة الجانب الثقافي للشعب اليهودي، أقول إن هذه المقالة التي نُشرت في صحيفة يهودية سيارة قبل خمس سنوات- استندت على تقرير نشره رئيس البعثة الفرنسية- السعودية (روبان) الذي ألقى الضوء على نقوش عربية مبكرة كُتبت بعضها مع رسم لشكل الصليب (انظر الصورة). وتبين بعد قراءة مقاله المكتوب باللغة الإنجليزية الأمران الآتيان:

1- قول الصحفي أن السلطات السعودية محرجة من هكذا اكتشافات؛ لذلك أعلنت عنه -كما قال- باستحياء؛ والواقع أن الإعلان عن الاكتشاف جاء عن طريق هيئة السياحة والآثار وقتها، ووزارة الخارجية الفرنسية، وبكل شفافية. نعم مع الأسف بعض المواقع الإلكترونية التي تناولت هذا النقش حُجبت من وزارة الإعلام السعودية، ولا يمكن الدخول عليها؛ وهذا -في تصوري- قرار داخلي غير موفق على الإطلاق (انظر صورة الموقع أدناه). وقول "ديفيد" "... أنك لن تجد صورة النقش على الانترنت..." فيه إجحاف كبير، ف شخصيًا وجدتُ صورًا للنقش المؤرخ، أحدها صورة كاملة مع رسم الصليب، وأخرى دون الصليب (انظر صورة النقش أدناه).

2- عنوان المقال جاء من باب الإثارة الصحفية بهدف إيصال رسالة معينة، فالعنوان فيه لبس واضح؛ بل تزيف تاريخي متعمد؛ نحو قوله أن مملكة يهودية كانت تحكم اليمن والمملكة العربية السعودية -فيما قبيل الإسلام- هو مناف للحقائق التاريخية (انظر أدناه).

ونظرًا لأن كاتب المقال "ديفيد" اعتمد بشكل كلي على: أولًا منشورات البعثة الفرنسية-السعودية (Robin and others, 2014, pp. 1033-1128)، وثانيًا على المصادر الإسلامية التي غلب عليها المنهج الخيالي الأسطوري لإضفاء إنجازات غير صحيحة على ملوك المرحلة الحميرية (115 ق.م - 525م)؛ فإنني أجد نفسي مضطرًا إلى التعريف ولو بشكل مختزل بما تناوله هذان المصدران، وله علاقة بموضوعنا في هذه العجالة:

1. النقوش العربية المبكرة:

نشرت البعثة الفرنسية تقريرًا عن نقوش عربية قديمة لمواسم المسح الذي قامت به في منطقة نجران¹. وقد لقي البحث الاهتمام من عدد من المختصين نظرًا لنشره عدد من النقوش العربية المبكرة، أطلق عليها الفرنسي روبان مصطلح: "النقوش النبطية- العربية" (nabateo- arabe)؛ قامت الباحثة الفرنسية "ليلى نعمة" بدراستها (Robin and others, 2014,)

¹ نشرنا تقريرًا عن نتائج الموسم الوحيد الذي شاركنا البعثة فيه وهو "السادس" (انظر الذيب، 2013، ص ص 35-46)؛ كما نشرنا بالاشتراك مع الحاج عددًا من النقوش العربية المسندية الجنوبية (الذيب، الحاج، 2020، ص ص 17-84)، والشمالية (الذيب، الحاج، 2020، ص ص 85-122)، ونقوش عربية إسلامية متأخرة (الذيب، الحاج، 2020، ص ص 123-154)، التي كانت حصيلة ذلك الموسم.

1128-1033 pp). وهذه النقوش التي وجدت في موقع حمى الأثري عبارة عن "23" نقشًا تذكاريًا²، منها "11" نقشًا رافقها رسم صليب، تسعة منها تعود إلى شخص يدعى "ثوبان بن مالك"، من هذه النقوش، ثلاثة مؤرخة اثنان منها ذكرا العام رقمًا، الأول يعود إلى العام الميلادي 463، وصاحبه هو ثوبان بن مالك (Robin and others, 2014, pp. 92-1088)، والثاني صاحبه "... بن خدّاش" (Robin and others, 2014, pp. 1122-23)؛ أما الثالث فأرخ بحادثة وفاة شخصية، لعلها بارزة في المجتمع -آنذاك- "... بن الحارث" في عهد الملك الحسن (Robin and others, 2014, p. 1125).

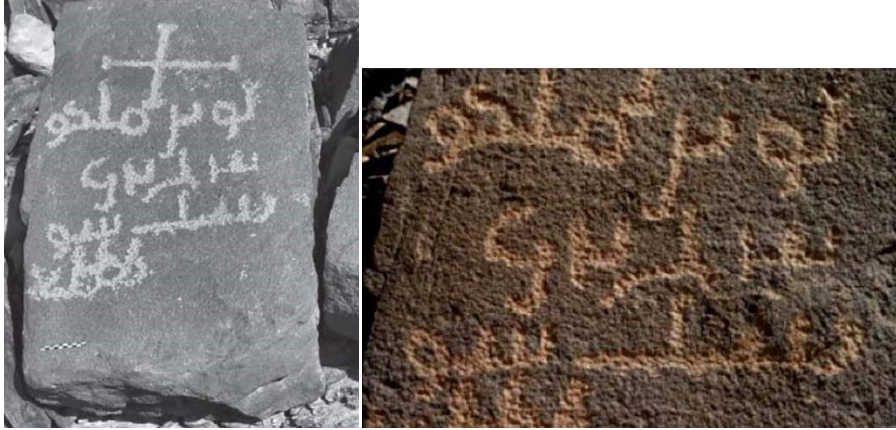
ويتبين من خلال الأعلام الشخصية الواردة في هذه النقوش، مثل: الحارث، إمرؤ القيس، حنظلة، مالك، ربيعة ومعاوية ... إلخ، عدة أمور: أولها أن أصحاب هذه النقوش من القبائل العربية الشمالية. ثانيها أنهم من معتقي الديانة المسيحية، كما تدل على ذلك بعض أعلامهم الشخصية، مثل: إسحاق (Robin and others, 2014, p. 1093) عبدالمسيح (Robin and others, 2014, p. 1125)، اليا (Robin and others, 2014, pp. 1096-7)؛ ثالثها أن الغرض من تواجدهم في المنطقة، هو نشر الديانة المسيحية والدعوة إلى اعتناقها. رابعها أن أبرزها هي نقوش "مالك بن ثوبان"، الذي رافقت نقوشه التسعة رسم واضح للصليب؛ مما يشير إلى مكانته الدينية في الكنيسة آنذاك؛ لذلك حظي بهذا العدد من النقوش ومرافقة جميع نقوشه لرسم الصليب. والملفت رغبة "ثوبان" التأكيد على معرفته بالكتابة، فأشار في أحدها إلى ذلك، مستخدمًا الفعل الماضي للجزر العربي السامي المعروف ك ت ب، بقوله: "ثوبان بن مالك كَتَبَ" (Robain and others, 2014, pp. 1096-7).

ويتبادر إلى الذهن تساؤل مشروع مفاده إذا كانت هذه المجموعة، مجموعة تبشيرية فلماذا لم تستخدم القلم المحلي المسند الجنوبي؟ إذ أن استخدام القلم المحلي أقرب إلى قبول الأهالي إلى هذه الدعوة وتعاطفهم معها؛ بل وتبنيها، فهل عكس هذا الأمر تساؤل استخدام القلم المسندي الجنوبي إلى درجة أن هؤلاء التبشيريين لم يكلفوا أنفسهم مجاملة الأهالي المحليين باستخدامه؟ أو أن هذا القلم قد فُقدَ خارج مناطق نفوذه الطبيعية "اليمن" مكانته، وتحديداً منذ بداية القرن الأول الميلادي؛ فلم تعد هناك حاجة لاستخدامه من الآخرين خارج اليمن³.

²تواصلت مع بعض الأخوة في هيئة الآثار (التراث) بهدف الحصول على صور فوتوغرافية لهذه النقوش، فتعاجأت أن الهيئة لم تُمكن حتى الآن من استلام التقارير بشكل رسمي لحفظها في أرشيف المسح الأثري عند الهيئة. وهذا الأمر يعكس بلا شك -العشية من الطرفين البعثة الفرنسية -السعودية، والهيئة.

ولا نستبعد أن عدم معرفتهم بالقلم المسند يقلل من احتمال أنهم مجموعة تبشيرية، فالأغلب أن هدفهم تجارة أو غيرها³.

Robin and others, 2014, no.1, pp. 1096- 7; 1101-2



ث و ب ن م ل ك و

ب ي ر خ ب ر ك

س ن ت 4+20+20+20 +300

ثوبان (بن) مالك، في شهر برك سنة 364 حميرية

ولا شك أن هذا النقش العائد إلى القرن الخامس الميلاد، وتحديداً 479م، يُعد أحد أقدم النقوش العربية، لكنه ليس أقدمها، فنعلم أنَّ نقوشاً كُشف عنها تعود إلى القرن الثالث الميلادي، منها نقش المايات، الذي عُثر عليه في مدينة المايات الإسلامية الواقعة في محافظة العلا، والمؤرخ في سنة "280م" (المريخي، 2009م، ص ص 104 - 109). كما لا شك -عندي- أن الصليب الذي جاء ملازماً لعدد من نقوشه يشير إلى ديانة ثوبان بن مالك "المسيحية".

2. المصادر التاريخية:

ونقصد بها المصادر التاريخية العائدة إلى ما قبل الإسلام أو بعده، مثل النقوش والموروثين السرياني والعربي الإسلامي (المصادر الإسلامية) والتي تحدثت عن أحداث تلك الفترة التاريخية، وهي: مملكة حمير، وعلاقتها بالقوى الإقليمية والدولية الأخرى، والأحباش وهيمنتهم على جنوب شبه الجزيرة العربية إضافة إلى تأثير انتشار الديانتين السماويتين اليهودية والمسيحية على مجتمعات المنطقة، وذلك على النحو الآتي:

أ- حمير:

هي قبيلة عربية عُرفت بصيغة ح م ي ر م في نقوشهم (بافقيه، 2007م، ص 129)، وكانت تتبع مملكة قنبان، لاعتراهم بسيادة ملوكها ودفعهم الجزية لهم. بينما نعتهم السبئيون "أولاد عم" أي أتباع الإله "عم" (عبدالله، 1990م، ص 249)⁴ واعتبرهم المؤرخ الكلاسيكي بليني: "أنهم أكثر الأقوام عدداً في المنطقة" (بافقيه، 1985م، ص 81)، وأطلق

⁴ أول ذكر لقبيلة حمير في النقوش العربية الجنوبية -كما يقول يوسف عبدالله (1990م، ص 250) - جاء في نقش حضرمي يؤرخ إلى القرن الأول الميلادي ومفاده أن الحضارمة صدوا حملة حميرية على المناطق الجنوبية، ويتحدث عن بناء سور قلت وتحصيناته الدفاعية: ج ن ا / ق ل ت / وع ق ب ه ن / م ت / ح ذ ر و / ب ح م ي ر م (الناشري، 2007م، ص 31). ودعاها الكتاب الكلاسيكيون، مثل: أسترابون، وبليني، ومؤلف كتاب الطواف حول البحر الأريتيري "Homeritai". أما المصادر الحبشية فدعتها بكل وضوح "حمير". (بن صراي، 1997م، ص 191).

عليهم الإخباريون العرب لقب التبابعة. والتبابعة لفظ لم يرد -حتى الآن- في النقوش العربية الجنوبية، واعتبرها بعض المستشرقين (انظر: علي، 1977م، مج2، ص516) أنه تحريف من الإخباريين العرب لاسم القبيلة الهمدانية "ب ت ع". أما جواد علي، فيرى أنهم سموا بالتبابعة لأنهم يتبعون بعضهم بعضاً، كلما هلك واحد منهم قام مقامه تبعاً آخرًا أو لأنهم ملوك يتبعهم قومهم ويسيروا خلفهم (علي، 1977م، مج2، ص513).

وقد انطلقت هذه القبيلة من موطنها "ظفار"⁵، في تأسيس مملكة امتازت بأمرين هامين، أولهما: أنها المملكة الوحيدة التي يعتقد أنها عملت على توحيد اليمن بممالكه الأربع المشهورة، وبمنطقتيه الجغرافيتين الشمال والجنوب. وثانيهما: تحولها إلى الوجدانية وتخليها عن الديانات الوثنية -كما دل على ذلك نقوش بعض ملوكهم- والتي بدأت في عهد الملك "ملكيرب يهأمن" عندما ظهر التخلي عن الإله الوثني "المقة". لكن كيف تمكنت هذه القبيلة التي تربطها علاقة نسب مع سبأ من نجاحها بالسيطرة على اليمن وإسقاط تلك الممالك التي أدت دوراً إقليمياً باهراً خصوصاً سبأ؟ والملفت أن من معاني ح م ر، في الكتابات العربية الجنوبية "عهد، ميثاق، حلف بين الجماعات" (بيستون، 1982م، ص68)⁶، ولعل هذا يشير -كما يقول الناشري، 2007م، ص29- إلى أن حمير حلف قبلي.

والواضح أن من أهم عوامل نجاحها في السيطرة على الأوضاع يعود إلى الأوضاع السياسية السائدة -آنذاك- داخل اليمن وخارجه؛ فالمنطقة وقتها وتحديداً في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد عانت من عدم الاستقرار السياسي الذي قاد إليه تأزم الوضع الاقتصادي بسبب عاملين هامين غيراً مجرى التاريخ، هما:

الأول: اكتشاف الرياح الموسمية (اتجاه الرياح في المحيط الهندي) في القرن الأول قبل الميلاد من قبل اليوناني "هيبالوس" (شرف الدين، 1990م، ص153)، بغرض الوصول إلى الهند دون المرور بالموانئ العربية الجنوبية، وقد سبق هذا الاكتشاف تمكن البحار اليوناني "إودوكسوس سزيكس" من عبور المحيط الهندي في القرن الأول أو الثاني قبل الميلاد⁷. فبدأت السفن الدولية تتجاوز بهذه التطورات اليمن إلى الهند مباشرة موطن المنتجات التي تحتاجها الدول الكبرى آنذاك. وقد تكلفت هذه المحاولات التي أخذت وقتاً في نجاح الغرب في الاستخدام الأمثل لهذا الاكتشاف في عهد الإمبراطور الروماني "تيبيريوس" (14-37م)، في اجتياز المسافة بين مينائي: عدن وقنا إلى رأس فرتك (قروم، 2008م، ص250)؛ ولاحقاً -في عهد الإمبراطور كلوديوس" (41-45م)- نجحت السفن الغربية من اجتياز رأس فرتك إلى الهند لجلب المنتجات مباشرة ومنها الفلفل (قروم، 2008م، ص251).

⁵ هي اليوم قرية صغيرة تحمل الاسم نفسه تبعد 20 كيلاً جنوب مدينة يريم التاريخية وشرق الطريق المتجه من تعز إلى صنعاء (عبدالله، 1990م، ص249)؛ أدت دوراً مهماً في محاولات نقل المسيحية إلى اليمن، فقد وصل إليها أسقف سقطرة عام 354م (وفقاً ليويسف عبدالله المدعو "ثيوفيلوس" بهدف نشر المسيحية وبناء دور العبادة المسيحية (عبدالحاميد، 1976م، ص195؛ عبدالله، 1990م، ص249).

⁶ للمعاني المتعددة للجر ح م ر في اللغات السامية، للسبئية انظر: (بيستون، 1982م، صص68-69)، وللحبشية، انظر: (Leslau, 1987, p. 234، وللأريانية (Costaz, 1963, pp198-9)، وللغات السامية الشمالية، انظر: (Hoftijzer, Jongeling, 1995, pp.382-3).

⁷ ومن محاولات دخول الغرب المحيط الهندي وتجاوز الاحتكار العربي للرحلات التجارية بشقيها البري والبحري، قيام "بطليموس الثاني" (285-246 ق.م) بافتتاح قناة بين النيل والبحر الأحمر (هبو، 1990م، ص100).

الثاني: طريق الحرير الذي دَلَّ علم الآثار أنه تشكل في القرن الثاني قبل الميلاد في عهد أسرة هان الصينية (202 ق.م - 221م)، ويتجه طريق الحرير من الصين إلى روما بطول يصل إلى 9000 كم (الروبي، محمود، 2017م، ص270)، مارًا بعدد كبير من المناطق والدول. وكان لهذا الطريق -في تصوري- دورٌ واضحٌ في نقل المعارف الثقافية والتأثيرات السلبية أو الإيجابية تمامًا مثل دور التقنيات الحديثة اليوم (وسائل التواصل الاجتماعي والفن المرئي والانترنت وغيرها)، فقد تمكنت الصين من تصدير منتجاتها، مثل: المنسوجات الحريرية والأواني المطلية والأواني الخزفية وغيرها؛ أما الغرب فقد نجح في نقل إضافة إلى منتجاته إلى هذا المجتمع، ثقافته وفنونه، مثل: المجوهرات والتوابل والأواني الزجاجية والعملات الذهبية والفضية من الغرب، والموسيقى والرقص والأطعمة؛ كما كان طريق الحرير جسرًا لانتقال الأزياء المختلفة من غرب آسيا وآسيا الوسطى، والمنتجات الزراعية المتعددة، مثل: الجوز والخيار والفلفل؛ وتمكنت الصين من جلب الطيور والحيوانات النادرة. لكن أهم التغيرات الثقافية التي كانت بسبب هذا الطريق هو دخول البوذية إلى الصين في أواخر عهد أسرة هان. والذي يهمننا في طريق الحرير الضخم الذي كما ذكرنا أدى دور التقنيات الحديثة في نقل المنتجات الصناعية والأفكار الثقافية والاجتماعية وفي تغيير الثقافة الصينية، نقول يهمننا علاقته بشبه الجزيرة العربية؛ فقد كان العرب ممثلين باليمنيين وأهالي الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية، يبحرون بسفنهم العربية من موانئ الخليج العربي وساحل اليمن إلى موانئ الهند الغربية، وفي هذه الموانئ، يتبادلون مع التجار الصينيين والهنود بضائعهم الثمينة، وأهمها: البخور والعطور والنحاس واللبان واللؤلؤ؛ ويأخذون البضائع الصينية والهندية إلى موانئ شبه الجزيرة العربية، حيث ينقلها التجار العرب عبر شبكة من الطرق البرية والبحرية إلى: بلاد فارس وبلاد ما بين النهرين والشام ومصر وساحل الحبشة. للمزيد انظر: (الروبي، محمود، 2017م، ص ص270 - 272).

ولعل ما دفع الدول الكبرى -آنذاك- في إيجاد طريق آخر والاستغناء عن اليمن وممالكه يعود إلى عدم تقدير الممالك العربية ومجتمعاتها لردة فعل المستفيدين - نتيجة الارتفاع غير الطبيعي - من هذه المنتجات الهامة في حياتهم، وتأثيرهم من: اليمن والهند والصين وغيرها التي تأتي عن طريق موانئ اليمن؛ فهذه الأسعار المبالغ فيها وغير الطبيعية التي فرضتها ممالك شبه الجزيرة العربية على منتجات: التوابل والبخور وغيرها، أصبحت تقتطع أموالًا هائلة من ميزانيات الدول المستفيدة. للمزيد عن أسعار هذه السلع، انظر: (قروم، 2008م، ص ص256 - 257). كما أن منع الممالك العربية التي اعتبرتها المصادر الكلاسيكية سادة المحيط الهندي - السفن الغربية القادمة عبر البحر الأحمر من تجاوز ميناء عدن شرقًا، ومنهم أيضًا السفن الهندية من تجاوزه نحو الغرب، في مسعى منهم للبقاء على مصالحهم كوسيط بين الشرق والغرب (النعيم، 1992م، ص276). نقول أن هذه التصرفات وغيرها التي أسميها "مغامرات غير محسوبة" دفعت المجتمعات المستهلكة دفعًا إلى البحث عن طريقة تُحيد بها هذا الممالك العربية التي لم يتبين لها أن "محاصرة الأسد ستدفعه إلى الانقضاض عليك". ومع الوقت بدأت تخبت أهمية الطريق البري الذي كان شريان الحياة لممالك عربية عدة: من ممالك اليمن مرورًا -كما يظن- بعاصمة كندة "الفاو" وسط شبه الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية) وبالعاصمة مملكة لحيان دادان في شمالها الغربي. وأدى لاحقًا دخول السفن الرومانية المحيط الهندي إلى بداية الموت البطيء لحياة الرخاء والاستقرار لبلدان جنوب شبه الجزيرة العربية وشمالها.

وهكذا وجدت هذه الممالك وقبائلها نفسها في موقف لا تحسد عليه حتى وصلت إلى مرحلة أكل القطط لبعضها البعض فنشبت الصراعات والخلافات بينها فمزّت شبه الجزيرة العربية كلها وتحديدًا من منتصف القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول الميلادي بمرحلة الاضمحلال وعدم الاستقرار السياسي والأزمات العديدة، وزاد الطين بلة تدخل روما بحملتيها

ضد جنوب شبه الجزيرة العربية الأولى بطلب من مملكة الأنباط (الذبيب، 2015، ص ص 39-71) وانتهت الثانية باحتلال روما لسواحل المحيط ومنها مدينة عدن، وبضم مملكة الأنباط سنة 106م إلى الإمبراطورية الرومانية وإنهاء مملكتهم التي استمرت ثلاثة قرون. وباحتلال اليمن من دولتين: دولية "فارس"، وإقليمية "الحبشة"، وهذه الأحداث التي بدأت -في تصورنا- بسبب عدم الحكمة والروية من حكام هذه الممالك، انتهت بدخول المنطقة مرحلة مظلمة مقارنة بالمرحل التاريخية السابقة في بداية الألف الأول قبل الميلاد إلى أواخره.

فكانت هذه الأحوال فرصة مواتية لقبيلة حمير للإسكاف بأمور اليمن الداخلية، فسيطروا في البداية على أراضي سبأ وقحطان، ولاحقاً تمكنوا من اليمن وإن لم يكن كله فجله، وهو كما أشار إليه مؤلف كتاب الطواف حول البحر الأريتيري بقوله: "أن الحميريين كانوا يحكمون منطقة تمتد من ساحل البحر الأحمر وساحل المحيط حتى حضرموت وساحل "عزانيا" الأفريقي" (مهران، 1998م، ص 338). وهكذا انفردت حمير -في القرن الأول الميلادي- بالهيمنة على الأوضاع. كما سمحت هذه الأحداث لمدينة إلى الشمال الغربي من اليمن كانت في تاريخها القديم شوكة في نحر الدولة السبئية التي حاولت مراراً وتكراراً لجمها، وهي مدينة نجران التي لم يتردد قادتها في التغريد خارج السرب في المنطقة-آنذاك- فتبني أهلها الأفكار الجديدة التي بدأت بتبنيهم الأديان السماوية الجديدة، ومنها المسيحية فأصبحت مركزاً دينياً هاماً. والمثير أنها نالت هذه المكانة عند الدول الكبرى -آنذاك- مثل: البيزنطية والإقليمية، مثل الحبشة، مع أنها منطقة داخلية وليست على البحر المكان الذي يفضلها دائماً المستعمر. المهم بدأت الديانتان المسيحية واليهودية تجدان طريقهما إلى جنوب شبه الجزيرة عبر هذه المدينة وتتسللان رويداً رويداً إلى العمق اليمني حتى تبنت -كما يعتقد البعض- مدينة ظفار العاصمة الحميرية الدين المسيحي أولاً وأنشأ بها دور عبادة مسيحية.

ومن دراسة الفترة الحميرية يتبين أنها مرّت بمرحلتين سياسيتين هامتين (شرف الدين، 1990م، ص ص 93-94)، الأولى حمل ملوكها لقب "ملك سبأ وذي ريدان" واستمرت (115 ق.م إلى 300م)، والثانية عصر ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت (300-525م)، وكان جزء من هذه المرحلة تحت الاحتلالين الحبشي بغفرتيه، الأولى (340-374م)⁸، والثانية (525-575م)، والفارسي (575-632م)

المرحلة	اللقب	الفترة	الملوك	المؤسس	اخر ملوكهم	العاصمة
الأولى	ملك سبأ وذي ريدان	115 ق.م - 300م	18	ال شرح يحضب	ياسر يهنعم	ظفار
الثانية	عصر ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت	300 - 525م	14	شمريهرعش	يوسف أسار	ظفار - صنعاء

⁸ يرى البعض نظراً لعدم توفر أية شواهد أثرية على هذا الاحتلال (الفترة الأولى)، أن الأمر لم يتعد مجرد تحالف وتعاون عسكري بين سبأ والأحباش ضد حمير بناءً على طلب من بعض حكام سبأ منذ عهد علهان نهفان في نهاية القرن الثاني الميلادي. أما النقوش العائدة إلى الملك الحبشي "عزانيا"، ليست إلا نوعاً من الفخر والادعاء السياسي، حمل فيها لقباً طويلاً يصفه بأنه: ملك سبأ وحمير و..... إلخ.

					وأعرابهم طودم (في نجد) وتهمت (تهامة)
--	--	--	--	--	---

وكان من نتائج تحوّل الملاحة واكتشاف طريق الحرير أنهما ألقيا بظلالهما السيئة على شبه الجزيرة العربية وتحديداً اليمن، فظهرت الأزمة الاقتصادية التي أثرت بقوة على الجانب الزراعي، وكما يقولون إذا طاح الجمل كثرت سكاكينه، فكان أن أضاف أشهر سدودها "سد مأرب" أزمات أخرى، بعد تعرضه إلى عدد من التصدعات والتهدمات، لعل أبرزها كما ذكر النقش السبئي شعرم أوتر بن علهان (في الربع الأول من القرن الثالث الميلادي) إبان الحرب بين سبأ وحضرموت إغارة قبيلة معادية لسبأ على السد بهدف تخريبه، والثانية تصدعه في عهد الملك شمر يهرعش، فقام بترميمه، والثالثة قيام الملك شرحبيل يعفر بترميمه مرتين الأولى في سنة 449م، والثانية بعد عام من الأولى (سنة 450/451م)؛ وفي الثانية اضطر الأهالي إلى الهجرة خوفاً وهلعاً من نتائج تدهم السد، فتركوا مأرب إلى المرتفعات الجبلية (هبو، 1990م، ص102؛ ابن صراي، 1997م، ص186) وأشار في نقشه إلى هجرة الناس من مأرب. أما آخر من رماه من الملوك فكان الملك الحبشي "أبرهة" الذي رماه أيضاً مرتين في عامين متتالين (542، و543م) (هبو، 1990م، ص104). وقد ربط المؤرخون في الفترة الإسلامية المبكرة بين تدهم السد وما أسموه لاحقاً بهجرات القبائل العربية من مأرب، مستندين على ما جاء في الآية الكريمة في سورة سبأ: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ).

ويُظن استناداً إلى نقش عُثر عليه على جدار السد الشمالي أن "نمار علي وتر بن كرب إيل"⁹، هو الذي بنى هذه الفتحة مما يعني أن بداية تأسيسه الذي كان عبارة عن فتحة تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد (ابن صراي، 1997م، ص185)، واستمر العمل في الفترات اللاحقة العمل على تقويته حتى وصل في فترة ما بعد الميلاد إلى أكبر مساحة حازها السد، فبلغ عرضه 50م، وارتفاعه 10م (هبو، 1990م، ص106). واستمر كما يُعتقد هذا السد يؤدي دوره في المجالين المائي والزراعي لمدة تصل إلى أكثر من ألف عام (700 ق.م - 542م).

أما نحن فلا نجد أي علاقة لتدهم السد في منتصف القرن الخامس الميلادي وما جاء في الموروث الإسلامي (المصادر العربية الإسلامية)، عن هجرة القبائل العربية إلى وسط وشمال شبه الجزيرة الذي أثبتت الدراسات الأثرية المادية عدم صحته، فشمال الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية) كانت تنبض بالحياة منذ العصور الحجرية القديمة؛ بل أن الهجرة الحقيقية هي عكسية من الشمال إلى الجنوب، بحكم التغيرات البيئية التي دفعت هذه القبائل ومنها قبيلة سبأ إلى الهجرة إلى الجنوب حيث البيئة الصالحة دون شك لتأسيس دول وممالك لها وزنها. أما ما أشار إليه نقش الملك شرحبيل يعفر من هجرة أهالي مأرب فلم يأت على ذكر هجرتهم النهائية من مأرب؛ بل اتجاههم إلى الجبال، ولا شك عندي أن من أسباب الهجرة وقتها (القرون: الثالث - الخامس الميلاديين) يتمثل في عدم الاستقرار في المجالين السياسي (الأمني) والاقتصادي، بسبب فقدان الأمان والاستقرار العائد إلى الصراعات والخلافات الداخلية، التي انصرف إليها ملوك حمير. لذلك فهي هجرة طبيعية ومبررة، فالأحوال الاقتصادية السيئة دفعت هذه القبائل إلى الهجرة بحثاً عن الاستقرار السياسي والاقتصادي، وهي أمور تحدث في كافة العصور التاريخية قديمها وحديثها، ومنها عصرنا الحالي حيث نجد هجرة الملايين

⁹ يرى البعض أن المكرب "يثع أمر بين" هو أول من بنى السد؛ الذي اكتمل بناؤه في العام 500 ق.م، (هبو، 1990م، ص106).

من أبناء الشعب اليمني الأبني إلى خارج وطنه طمعاً بحياة أكثر استقراراً قادم إليها أنظمة محلية لم تعمل على ازدهار شعبها أو رقيه.

وفي عجالتنا هذه سنتناول اثنين من ملوك حمير رُبطا باليهودية¹⁰، هما: اب كرب أسعد (410-435م)، ويوسف أسار (517-525م). يعود إلى الأول استخدامه للقب ملكي جديد هو: "ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في الجبال والتهاشم" (البكر، 1980م، ص 355). ومع أن المصادر الكتابية القديمة مثل النقوش لم تشر لا من قريب ولا بعيد إلى اعتناقه اليهودية، إلا أن هذه المصادر التراثية هودته؛ وسردت روايات أسطورية، نسجها كُتاب الموروث العربي بشكل غير طبيعي، ليس فقط في طريقة تهوده التي حظي بها في مدينة يثرب؛ بل في إنجازاته داخل اليمن وخارجها، مثل: غزواته وفتوحاته التي وصلت إلى: أدريجان والترك والصين والهند (مهران، 1980م، ص 361). ففي الموروث العربي هو أول من تهود من الملوك اليمنيين المعروفين بالتبابعة على يد حبرين يهوديين دعياه إلى اعتناق الدين اليهودي عندما قَدِمَ إليها نصره لأبناء عمومته "الأوس والخزرج" (مهران، 1980م، ص 356-359).

الثاني (أسار يثار)، المعروف في المصادر الإسلامية بأسماء عدة أشهرها زرعة، وبلقب ذي نواس، وفي نقوشه بلقبه (ملك كل الشعوب)؛ والذي أضاف لاحقاً اسم "يوسف" إلى اسمه، فأصبح يُعرف باسم (يسف أسار يثار)¹¹، قد اختلفت المصادر التاريخية في سيرته:

- فمن قائل إنه لا ينتسب إلى العائلة المالكة، فوصله إلى الحكم جاء بعد انقلاباً أبيضاً قام به سنة 517م، أزاح به آخر ملوك العائلة المالكة الحميرية الملك (معدي كرب) النصراني الديانة.

- ومن قائل إنه ينتسب إلى العائلة المالكة بدليل تقلده زمام أمور الدولة بشكل ودي بعد وفاة الملك. وحضوره في كُتب التاريخ -وسائل الإعلام آنذاك- يذكرنا بالصيت الذي حظي به الوزير النبطي (سلي)، والرابط بينهما (اليهود)؛ فهذا الأخير كانت علاقته بهم متذبذبة بين انسجام (حصوله على دعم مالي، وطلبه الزواج من يهودية)؛ أما الأول فاعتنق اليهودية¹²، وكلاهما شاركا دون أن يقصدا في دقّ مسمار نعش دولتيهما؛ بل نظاميهما السياسي. في حين قدمته نقوشه أو تلك التي كُتبت في عهده (انظر أدناه) قائداً عَمِلَ على طرد المستعمر كما نعتته النقوش؛ لذلك لم يتردد بعض المؤرخين في العصر الحديث فيخلق هالة سياسية كبيرة على (يوسف) الملك الحميري فاعتبر عندهم من أولئك الذين عملوا على توحيد اليمن.

10 يرى يوسف عبدالله أن الأدلة الأثرية المتمثلة في النقوش التي اختفت فيها الإشارة إلى المعبودات الوثنية والدالة على الوحدانية تشير إلى أن "أبي كرب أسعد" ووالده "ملكي كرب يهأمن"، قد تهودا (اعتنقا اليهودية) (عبدالله، 1990م، ص 252-256؛ ابن صراي، 1997م، ص 192).

11 اتخاذه للعلم "يوسف" وهو اسم عبراني، دفع البعض إلى عده دليلاً على اعتناقه اليهودية، إلا أن ابن صراي، استناداً للآيات القرآنية في سورة البروج ينفي تهوده ((قَتْلَ أَصْحَابِ الْأَخْذُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (9)) وإلى الحديث النبوي (ابن صراي، 1997م، ص 192-193)، بل -كما يقول ابن صراي- تعكس وثنيته.

12 يشير البعض إلى أن تهوده جاء من ناحية أمه اليهودية الديانة (من نصيبين) والتي اقترن بها والده "اب كرب أسعد" بعد وقوعها في الأسر (مهران، 1980م، ص 368).

لكن الدارس بعقلانية للحالة السياسية وأسلوبه في التعاطي مع الأمور يجد أن هذا الملك الحميري قد أخذ بالمنهج ذاته، الذي استخدمه ويستخدمه في الغالب العسكر عندما يستولون على الحكم، أو القيادة التي تمر بلدانهم في وضع أمني واقتصادي مزر، مما يرجح إلى حد كبير أن وصوله إلى الحكم لم يكن إلا عن طريق انقلاب قاده ضد آخر ملوك اليمن (معدى كرب)، كان سهلاً وسريعاً.

وفي مسعى منه إلى استمالة القبائل اليمنية المستاءة إلى حد كبير من الأوضاع أعلن عداؤه للمسيحية -الدين الحق آنذاك- فهذه القبائل أظهرت بجلاء تضاييقها وتمللها من التواجد القوي للأحباش النصارى في اليمن، وهيمنتهم على كثير من مفاصل المجتمع. فالأحباش كانوا الأداة لانتشار المسيحية في اليمن. ومن نافلة القول إن المسيحية كانت متجذرة إبان حكم هذا الملك، لانتشارها القوي في المدن الساحلية إضافة إلى بعض المدن الداخلية، مثل: ظفار العاصمة الحميرية نفسها. أما المركز الحقيقي الذي أزعج كثيرًا اليمن وممالكه، فهي مدينة نجران المركز المهم للمسيحية¹³، والمعروفة بنزعتها الاستقلالية على الرغم مما بذله ملوك سبأ وغيرهم من استمالتها؛ لأمرين: موقعها الاستراتيجي وأصاله شعبها وقبائلها. وكانت هذه المحاولات تارة بالقوة، وبالتودد والتقرب تارة أخرى، لكن كل هذه المحاولات بأب بالفشل فشعب نجران تواق ومحب للاستقلال والحرية.

وعلى التأكيد أن الدول الصغيرة عبر التاريخ -مثل (نجران) آنذاك- هي أكثر جرأة في تقبل الجديد وتبنيه؛ أما الدول الكبرى المحاذية لها فتجد حرجًا كبيرًا أمام شعبها في تبني الجديد، مراعاة لرد فعل قبائلها وشعوبها. وغالبًا ما يقطف ثمار هذه النجاحات شعوب هذه الدول الصغيرة، بسبب انفتاحها الثقافي والاقتصادي، وأخذها بكل جديد. لذلك تضطر الدولة الكبرى إلى التهام الدولة الصغيرة عند أول فرصة تسنح لها، كما حصل مع المملكة اللحيانية من الأنباط أو الممالك اليمنية مع نجران. وهو ما فعله "ذو نواس" فلم يتردد بمهاجمة نجران متخفيًا خلف قوله "نصرة لليهود" الذين ادعوا تعرضهم للمضايقات من مسيحيي نجران (شرف الدين، 1990م، ص154). لكنه مرة أخرى لم يحسب حساب ردود الفعل الدولية، التي لم تتردد في القضاء عليه، بعد تلقيهم رسائل نداء من القوى الدينية والمدنية، وأبرزها رسالة النداء التي أرسلها أسقف بيت "أرشام" إلى أساقفة الروم والأحباش داعيًا إياهم إلى نصرته "إخوانهم" في الدين مما يتعرضون له (يعقوب، 1966م، ص79-81؛ شرف الدين، 1990م، ص154-155)، فاستجاب أمبراطور الروم... وأرسل أمره إلى حليفه في الحبشة "النجاشي" بإرسال جيش للقضاء على يوسف ذي نواس وأتباعه، فأرسل (4000) جندي بقيادة إرياط انتهت باستيلاء الأحباش على اليمن سنة 525م (شرف الدين، 1990م، ص154-155). وكان تدخلهما وبالغربة بدعوى إنقاذ مسيحيي اليمن من بطش (يوسف) اليهودي بشعبه المسيحي. ولذلك أنهى هذا الملك الحميري حكم بلاده، وقدمها على طبق من ذهب إلى المحتل الحبشي مرة أخرى.

وكان يوسف أسار قد بدأ قبل مهاجمته نجران (انظر النقشان: 1، 2) بقتله للمسيحيين في عاصمته ظفار التي قدمت المصادر السريانية روايتها في الجانب التي لا تخلو أيضًا من المبالغة، وأشارت إلى مخادعته للأحباش المسيحيين في ظفار حيث أعطاهم الأمان إذا هم خرجوا بأن يسمح لهم العودة إلى الحبشة، لكنه أخلف وعده وقتلهم جميعًا حال خروجهم، ثم أصدر قراره -كما تقول الروايات السريانية- بقتل كل من يؤمن بالمسيح ودعوته (يعقوب، 1966م، ص24)، وهي

¹³ تعيد المصادر السريانية انتشار المسيحية في نجران إلى تاجر نجراني اسمه "حيان"، كان قد زار القسطنطينية والحيرة، فتنصر؛ وعند عودته تمكن من دعوة عدد من أهل نجران للإيمان بالمسيح (يعقوب، 1966م، ص7). ولا شك عندي أن هذا الأسلوب المستخدم من قبل المؤرخين القدماء غير مرجح الآن.

بالمناسبة الخدعة نفسها التي استخدمها بعد أن تعسر عليه دخول نجران بسبب المقاومة القوية منهم فشدد على منحهم الأمان وحققهم الاحتفاظ بدينهم (يعقوب، 1966م، ص 25)، وهكذا بخدعته هذه تمكن من حرق "2000" مسيحيًا في كنيسة نجران حيث جمعهم. للمزيد عن القصص التي يغلب عليها الطابع الأسطوري العاطفي، انظر: (يعقوب، 1966م، ص 26-41). وتشير الروايات التاريخية أن يوسف بعد هزيمته اتجه إلى البحر، حيث غرق هناك، في محاولة من المصادر الإسلامية لإضافة أبعاد أسطورية بحيث يبينون للناس عدم تقبله للهزيمة، وأنه فَضِّلَ الموت على البقاء مهزومًا. والمؤكد أن الأحباش عينوا "السميفع أشوع"¹⁴ خليفة له؛ وهو أحد قواد ذي نواس الذين خذلوه أو بمعنى آخر عارضوا توجهاته (المعارض له)، فنال بذلك ثقة الأحباش (هبو، 1990م، ص 104؛ شرف الدين، 1990م، ص 155)، وأصبح بطبيعة الحال تابعًا (مهران، 1980م، ص 375-376).

وكما أن الموروث العربي لم يتوان في إضفاء الجانب الخيالي والأسطوري على ملوك حمير¹⁵، الذي لا يستند على وقائع حقيقية؛ بل على روايات تاريخية غلب عليها المنهج الأسطوري المختلق في أغلبه، فقد أضفى على هذا الملك العديد من الإنجازات والأعمال البعيدة كليًا عن الحقيقة؛ إذ لم يثبت آثارًا أن "يوسف ذو نواس" قد سيطر على المدينة المنورة ومكة المكرمة أو غيرهما.

ولعلنا في هذه العجالة نشير إلى أبرز قصور مملكة حمير، وهو قصر غمدان الواقع في الجهة الشرقية من صنعاء بناه خامس ملوك المرحلة الأولى الملك "الشرح يحضب بن فرع يذهب"، وصفه الهمداني، الذي أعاد بنائه إلى عهد سام بن نوح، في صفة جزيرة العرب (الجرو، 2003م، ص 206) بمبالغة كبيرة فقال أنه يتكون من (20) طابقًا يفصل بين كل طابق "10" أذرع أي "7,30م"؛ وأشار إلى أن آخر طبقة فيه كانت شفافة تسمح لقاطنه تمييز الطائر (شرف الدين، 1990م، ص 134). ويقول شرف الدين، 1990م، ص 134، هـ 2، أن القصر هُدم بأمر من الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وقد بُني الجامع الكبير ببعض أحجاره¹⁶. أما المصادر الكتابية المعاصرة فقد أشارت إلى القصر -دون وصف دقيق له- مثل النقوش العائدة إلى الملوك: شعر أوتر، وال شرح يحضب الثاني وأخيه يأزل بين (الجرو، 2003م، ص 207؛ بافقيه، 2007م، ص 115-116).

¹⁴ تشير هنا إلى أن البعض يرى أنه كان أميرًا حميريًا، لكنه -بعد أن أظهر ذو نواس امتعاضه من التواجد الحبشي ومحاربته لهم- كان في وقتها في الحبشة، وعاد على وجه السرعة مظهرًا اعتراضه على توجهات "يوسف أسار" (القحطاني، 2001م، ص 12). ولا شك أن هذا الموقف المساند للأحباش نال به رضاهم، فكافأوه بتعيينه ملكًا على اليمن.

¹⁵ مثل الملك شمر يهرعش مؤسس المرحلة الحميرية الثانية، فقد أشارت المصادر الإسلامية إلى زحفه بجيشه إلى: أرمينيا وهزم الترك وهدم المدائن بدينور وسنجار وأنه وصل بفتوحاته إلى الصين ومصر والحبشة وأنه عمر (1060) (مهران، 1980م، ص 345)، وبطبيعة الحال كل هذا من المبالغات الأسطورية التي لا تؤكدتها الأحداث التاريخية المثبتة أو المرجحة. لكن المعروف عنه من خلال نقوشه أنه أول من اتخذ لقب "ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت" سنة 290م.

¹⁶ وبررت الجرو، 2003م، ص 207، هذا التصرف من الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- "أن ابن عفان وجد أن القصر سيطر ريبة في قلوب اليمنيين ومصدر فخر واعتزاز لهم". وبطبيعة الحال الجرو تكرر هنا من باب الشوفينية التي تظهر على بعض مؤرخي اليمن في أيامنا هذه، الخاطئة بالكلية.

ب- الأحباش:

هم شعب عربي سامي قطن الموقع المعروف اليوم عندنا بالحبشة، استناداً إلى قبيلة ح ب ش ت العربية التي يعود أقدم ذكر لها إلى القرن الأول الميلادي (بأفقيه، 2007م، ص ص 182- 183؛ الغنطوسي، محمود، 2015م، ص 37) أو أثيوبيا عند الغربيين، ظهر على وجه التاريخ الإقليمي، بعد ترك الدولة عبادة الأوثان واعتناق المسيحية، فكان لهذا الفكر الجديد (الدين) دورٌ في ما نالته الحبشة من مكانة إقليمية في القرون الميلادية الأولى. لذلك أخذت على عاتقها نشر الدين المسيحي وكان تركيزها في هذا الشأن على شبه الجزيرة العربية؛ حيث بدأ أول ملك حبشي نعلم أنه غزا اليمن، وهو الملك "جدرت"، بطلب كما قيل من الملك السبئي علهان بن نهفان (الغنطوسي، محمود، 2015م، ص 37) وقيل بطلب من الملك الحبشي نفسه (بأفقيه، 2007م، ص 103). وكان هذا فيما بين الأعوام 200- 230 ميلادية، مسيطراً كما تقول رواياته على منطقة تمتد من ميناء "لوكي كومي" شمال غرب المملكة العربية السعودية غير البعيدة عن العلا وحتى أراضي السبئيين في جنوب شبه الجزيرة العربية (ابن صراي، 1997م، ص 196)؛ لكن السيطرة السياسية الفعلية تأخرت كما نتوقع لأكثر من قرن، فلم تتحقق بشكل فعلي إلا في العام الميلادي 340، عندما اتخذ الملك الحبشي لقب "ملك أكسوم وحمير وذي ريدان وحبشت وسبأ" (هبو، 1990م، ص 101)، ونقصد بها السيطرة السياسية على اليمن. ويظهر أن دخول الأحباش اليمن كان بسبب ظروفه السياسية غير المستقرة إضافة إلى المفاهيم القبلية والاجتماعية التي خلفتها الأزمنة الاقتصادية والتي بدورها خلقت فكراً قُبلياً أكثر شدة أدت إلى السماح؛ بل تسهيل دخول الأحباش إلى اليمن (مهران، 1980م، ص 369). ويعيد البعض نجاح "شمر يهرعش" في طرد الأحباش إلى الظروف السياسية في أكسوم والتي شجعتهم بدعم من بعض القبائل اليمنية على طردهم، إذ تقلد الحكم "عيزانا" بعد أبيه "الأعميدا"، وهو صغير في السن ولا يملك خبرة كافية في إدارة أمور الدولة (القحطاني، 2001م، ص 3).

أما الفترة الثانية لحكم الأحباش فجاءت بعد إسقاطهم في سنة 525م المملكة الحميرية، واستمروا مسيطرين على اليمن حتى العام الميلادي 575 (هبو، 1990م، ص 102)؛ وفيها ظهر الملك الذي ارتبط اسمه بغزوة الفيل، أبرهة، فقد تقلد الحكم مدة (23 عاماً)، خلفه في الحكم ابنه "يكسوم" و"مسروق" اللذان حكما مدة واحد وثلاثين عاماً، تسعة عشر عاماً للأول، وأثنا عشر عاماً للثاني. لكن القسوة التي تعامل بها هذان الحاكمان -مرة أخرى بسبب الظروف الاقتصادية- التي أدت إلى اختفاء تأثير اليمن الاستراتيجي، بعد تحول مراكز التجارة إلى السواحل، خصوصاً المصرية على البحر الأحمر (ابن صراي، 1997م، ص 198)، قامت ثورة بقيادة سيف بن ذي يزن (516- 574م) (هبو، 1990م، ص 106)، التي مع الأسف لم تنجح إلا باستبدال محتل بآخر، فقد انتهز كسرى الفرس دعوة "سيف بن ذي يزن" لنصرته في إخراج الأحباش، فأرسل معه جيشاً غالبية جنوده من خريجي السجون ومرتكبي الجرائم، ومع خروج الأحباش، إلا أن اليمن وأهله لم ينالوا الحرية التي ابتغوها والاستقلال الذي نشدوه، بل حلّ الفرس محلهم في الفترة من 575 إلى 632 ميلادية؛ عندما اعتنق الحاكم الفارسي وقتها "بازان" الإسلام (هبو، 1990م، ص 106).

ج- الديانات السماوية:

كان للديانتين اليهودية والمسيحية عدد من الأتباع خصوصاً الأخيرة في أنحاء متفرقة من شبه الجزيرة العربية، والأدلة المادية التي تشير إلى أتباع الديانة اليهودية من أهل الشمال ما جاء في النقوش النبطية التي عُثر عليها في العلا وتيماء المدينتين العريقتين بشمال غرب المملكة العربية السعودية، فقد عُثر على نقشين نبطيين أشار صاحبيهما بكل وضوح إلى يهوديتهما، الأول: نقش من ثمانية أسطر، كُتب على إحدى واجهات المقابر النبطية في مدينة الحِجْر (الذبيب، 2010م،

نق 193: 2)، أكد فيه سُبيت (شَبِيت) على يهوديته بقوله: د ن ه ك ف ر ا د ي ع ب د ش (ب ي ت و ب ر) ل ي غ و ي ه و د ي ا ل ن ف س ه و ل ي ل د ه و ل ع م ز ت (ا) ن ث ت ه د ي"، أي "هذه المقبرة، التي أنشأ شَبِيت بن ليع اليهودي، لنفسه ولأولاده، ولعمرة زوجته (أنثته) الذين....". أما الثاني والذي عُثر عليه في تيماء، فهو نقش تذكاري قصير يقرأ هكذا: ت ق ي س ب ر ي و س ف ي ه و د ي أي "تقيس بن يوسف اليهودي" (al- Theeb, 2018, no.11). أما في النقوش العربية الأخرى، فلم يرد أبدًا مع ياء النسبة، لكن لفظة تشير إلى اليهود وردت خمس مرات بصيغ مختلفة، هي: ا ل ي ه و د "اليهود" (CIS no. 1270; Winnett, 1957, no. 688)، ه ي ه د ي "اليهودي" (CIS nos. 273, 3360)، ا ل ي ه د "اليهود" (علو، 2011م، نق 1)، ي ه د "اليهود" (علو، 2011م، نق 347) في النقوش المعروفة اصطلاحًا بالصفائية. وإضافة إلى هذه الأدلة وجدت نقوش عبرية القلم في المملكة العربية السعودية قليلة جدًا (الذبيب، 2018م، ص ص 72- 75)، إلا أن من المشكلات التي نواجهها في دراستنا لهذه النقوش العبرية القليلة، عدم قدرتنا على تأريخها، فقد تعود تاريخيًا إلى ما قبل الميلاد أو إلى قبل "200" عام من الآن. ونعلم من الدراسات المحترمة أن انتشار الديانة اليهودية في شبه الجزيرة العربية، بدأ -كما يتصور جاد- خلال فترة نبونيز أي حوالي القرن السادس قبل الميلاد. فقد كان ضمن جيشه، الذي غزا به المنطقة جنود يعتنقون الديانة اليهودية، وهم النواة الأولى لانتشار هذه الديانة في المنطقة (Gadd, 1958, p.57)؛ إلا أن البعض يرى أن الوجود اليهودي في المنطقة يعود إلى فترة نبوخذنصر الكلداني الذي هجرهم من القدس¹⁷. أما الأدلة التي اعتبرها البعض تشير إلى ترك أهل اليمن أو بعضهم للمعبودات الوثنية، فهي النقوش التي أشارت إلى الوحدانية باستخدام أصحابها مفردات تدل على ذلك، مثل: ا ل ر ح م ن أي "الرحمن"، أو ذ ي س م و ي أي "إله السماء"، وهي بالمناسبة نقوش تعود إلى الطبقة المخملية العليا في الدولة الحميرية، ونرى أنها تعود لاعتناق أهل اليمن الدين المسيحي وليس اليهودي الذي دفعهم إلى نبذ عبادة الأوثان؛ أما انتشار المسيحية في المنطقة فلا يحتاج إلى إلقاء الضوء عليه لثبوته في عدد من أرجاء المنطقة لوجود الكنائس العائدة إلى القرنين الثالث والرابع الميلاديين، فعلى سبيل المثال لا الحصر: شرق المملكة العربية السعودية وشمالها الغربي (كنيسة الجبيل وتبوك) إضافة إلى نجران وغيرها من الأماكن الأخرى أو الكنيسة التي في دولة قطر حاليًا؛ وبطبيعة الحال كنائس جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن). ونتفق مع المصادر السريانية (يعقوب، 1966م، ص 7) في أن انتشار المسيحية في جنوب شبه الجزيرة العربية بدأ في أواخر القرن الثاني الميلادي وليس مترافقًا مع الاعتراف الرسمي لروما بالديانة المسيحية في القرن الرابع دينًا رسميًا لها. لكن الدعوة الحقيقية واقتطاف الجهود السابقة كان في القرن الرابع عندما أرسل القيصر "قسطنطين الثاني" (350- 361م) بعثة برئاسة مبعوثه "ثيوفيلوس" للدعوة للمسيحية أثمرت عن بناء كنائس ودور عبادة مسيحية في ظفار وعدن (البكر، 1980م، ص 354؛ مهران، 1980م، ص 354).

وقبل أن أنهى هذا العجالة عليّ التوقف عند ثلاثة أمور، هي: المصادر الإسلامية، والكتابات العربية القديمة وعلم التاريخ.

17 انتشار الديانة اليهودية بين القبائل السامية، تشير إليه عدد من النصوص السامية التي كتبها يهوديو الديانة؛ بهذا الخصوص انظر (Noja, 1979, pp.283- 316).

1- المصادر الإسلامية:

الذي يغوص بتجرد في المصادر الإسلامية التاريخية وتحديدا في تناولها فترات التاريخ السابقة للإسلام، وعلى وجه الخصوص قضيتنا هذه "اليهود في شبه الجزيرة العربية" «سيصاب بخيبة أملون يجد معلومة أو معلومات واقعية تشفي غليله، فعدد من المؤرخين المسلمين، أمثال: عبيد بن شربة الجرهني (67هـ/ 686م) ومن كتبه كتاب (الملوك وأخبار الماضين)، ووهب بن منبه¹⁸ ومن كتبه كتاب (الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم)، وأبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وله عدة مؤلفات لم يتبق منها إلا عدد يسير منها: كتابا (الأصنام، والجمهرة في النسب)، وعبد الملك بن قريش الباهلي الأصمعي له أيضًا عدد من الكتب، منها كتاب (تاريخ ملوك العرب الأول)، وأبو الجعفر محمد بن جرير الطبري الذي اشتهر بكتابه (تاريخ الرسل والملوك)، وعلي بن الحسين بن علي المسعودي الذي ترك عدة كتب أبرزها في مجال التاريخ كتاب (مروج الذهب)، وأبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني وكتابه المشهور (الإكليل)، وكتاب تاريخ اليعقوبي لمؤلفه أحمد بن أبي يعقوب حمزة الأصفهاني وغيرهم. للمزيد انظر (دلو، 2004م، ص 23-31)، تناولوا أحداثًا تاريخية عدة لم تكن معاصرة لهم، استقوا معلوماتهم عنها من مصادر مختلفة أبرزها ما عُرف لاحقًا بمصطلح "الإسرائيليات" أو المصادر الأخرى، مثل: السريانية واليونانية... إلخ. لذلك وجد في تناولهم للقضايا السابقة لعصرهم تجاوزات عدة لا يمكن اعتبارها إلا أنها مزجت بين الأسطورة والحدث والتباهي والتفاخر مع الحقيقة. والمؤسف أن هذه المصادر بالغت كثيرًا عندما تناولت فترة المملكة الحميرية حتى جعلت من ملوكها فاتحين عظام وصلوا إلى الصين شرقًا ومصر غربًا؛ بل بعضهم دون دراية -أقرب إلى الجهل- جعل أحد ملوك حمير يعيش أكثر من ألف عام.

ولا شك أن انتهاجهم هذا النهج كان بتأثير من المصادر الدينية -خصوصًا اليهودية والمسيحية- التي أخذت خطأ تاريخيًا أسطوريًا؛ أما القرآن الكريم فأخذ منه هؤلاء العمر الذي عاشه نبي الله "نوح" عليه السلام كمعيار لسنوات عدد من الملوك أو قولهم إن فترة حمير استمرت 2018 عامًا أو 3300 عامًا (الناشري، 2007م، ص 36) أو إشارة الهمداني إلى أن باني قصر غمدان هو "سام بن نوح" (بافقيه، 2007م، ص 115)، أو قولهم إن أحد التبايعات صنع (الماديات) من الحديد، الذي -أي الحديد- سُخر له كما سُخر لنبي الله داود عليه السلام (علي، 1977م، ص 513)؛ وغيرها من المبالغات التاريخية. والملفت لي شخصيًا أن الموروث العربي (المصادر العربية الإسلامية) في أخبارها الزائفة عن فتوحات ملوك حمير أوصلتها إلى الصين والهند شرقًا لكنها لم تتعد البحر الأبيض المتوسط أي الغرب مع أن العلاقات التجارية والسياسية مع الغرب تعود كما أثبتتها علم الآثار إلى ما قبل الميلاد بقرون طويلة، ولعل السبب يعود إلى أن الغرب زمن هؤلاء الإخباريين في وضع حضاري سيئ وغير مشرف لعدم علمهم بتاريخه وإنجازاته، التي شهد بها علم الآثار ومخلفاتهم الباقية إلى اليوم؛ لذلك لم يخطر على بالهم أن يتكبد العرب القدماء شرف السيطرة على الغرب والهيمنة على مقدراته.

وفي تصوري وأن كان فيما اختطه هؤلاء الكتاب من أخطاء إلا أنها مبررة، فمعرفة تلك الأحداث ضعيفة ومشوشة؛ بل أن جلهم فيما عدا القلة القليلة لم يعتمد الكذب أو التزييف؛ لكن العيب يقع بكل ما تعنيه الكلمة من معنى على بعض المؤرخين المعاصرين الذين غلب عليهم -مع الأسف الشديد- الهوى فرجحوا عدد من الروايات التاريخية غير الحقيقية

¹⁸ وهو من أهل دمار باليمن من الأبناء، والمقصود بهم أبناء الطبقة الفارسية، وقيل إنه ينحدر من أصل يهودي، وأنه اتقن اليونانية والسريانية والحميرية (دلو، 2004م، ص 26).

والمبالغ فيها إلى حد كبير، بل غير الصحيحة، ولا يمكن تفسير تصرفهم هذا إلا أنه طمعاً منهم في إضافة أمجاد وإنجازات زائفة إلى بلدانهم ومجتمعاتهم، بغرض -كما يعتقدون- إعادة الروح الوطنية وبث روح الاعتزاز والفخر ببلدانهم ومجتمعاتهم.

2- الكتابات العربية القديمة:

وهي تلك التي عاصرت الأحداث، وكُتبت في غالبها من عليّة القوم آنذاك، وإذا أخذنا المرحلة الحميرية وتحديداً نقوش الملك الذي اعتبرته بعض المصادر الإسلامية أو بعض المؤرخين المحدثين ومنهم الصحفي ديفيد، يهودي الدين، والتي لا تتعدى الثلاثة نقوش فقط (العتيبي، 2007م، نقوش: 86، 87، 88). نجد أن هذه النقوش تطرقت -كما أشار العتيبي، 2007م، ص 328- إلى حملات ذي نواس التي ركزت على منطقتين: الساحل الغربي لليمن المطلّة على باب المندب، ومنطقة نجران في محاولة منه لمنع انتشار المسيحية في بلاده. والعيب الذي يقع فيه البعض أخذهم لما تتضمنه هذه النقوش من معلومات كأمر مسلم به رغم أن بعضها كان فقط لمجرد الدعاية الزائفة، مطابقاً تماماً لما نجده في وسائل إعلام العالم الثالث المعاصرة، من مبالغات والتي لا تعكس حقيقة أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. لذلك عندما نأخذ بحذر شديد ما تبثه وسائل إعلام هذا الزمن، فيفترض بنا ألا نغفل في دراستنا لنقوش تلك المرحلة التي كان في العرب جزء من العالم الثالث آنذاك، ظاهرة المبالغة الزائفة.

فعلى سبيل المثال أشير إلى أمرين وردا في نقوشه، الأول: لقبه "ملك كل الشعوب"، والثاني غنائمه من حملته على نجران، فالأول نوع من المبالغات التي اعتاد قادة الدول الضعيفة الترويج له، مثل اتخاذ البعض لقب: "رئيس، زعيم الجمهورية العظمى"، وغيره من الألقاب التي لا تنطبق بالكلية مع الوضع الحقيقي لبلاده. والثاني قوله إن عدد القتلى في معركة نجران بلغ "خمس مئة وأثنى عشر ألف قتيل". ولا شك أن هذه الأرقام بالكلية غير صحيحة، وتعكس الضعف الذي كان يعيشه "ذي نواس"، الذي نال من الثناء أعظمه من المؤرخين العرب قديماً وحديثاً. والغريب أن بعض الدارسين اليوم يتناولون هذه الأرقام ويبنون عليها استنتاجات غير صحيحة، فنجران المدينة اليوم، وليس آنذاك عدد سكانها لا يزيد على النصف مليون نسمة. والذي أتصوره أن النقوش العائدة إلى "يوسف أسار" والتي عُثر عليها في موقع "حمى في شمال نجران" الذي يبعد حوالي "450 كم" عن عاصمته المفترضة "ظفار" ليست إلا المكان الذي اتخذته لحملاته غير المؤثرة على نجران والقوات الحبشية فيها.

3- مفهوم التاريخ:

التاريخ هو ذاكرة البشر، وهو الوعاء الذي يحفظ به المجتمع ما يتعلق به من خير أو شر؛ وأكاد أجزم أنه من أدوات تحريك الشعوب الفعالة سلبيًا أو إيجابيًا. ويتعرض في زمننا هذا التاريخ، الذي ارتبط بالملوك والزعماء ونخبة المجتمع -في بلادنا العربية إلى السلبية من المجتمع بسبب التناول الخاطئ من المؤرخين المعاصرين، الذين غلفوه بالقص واللصق. والعيب ليس في التاريخ نفسه، فهو الوعاء الحافظ والذاكرة التي لا يمكن إزالتها، بل في التعامل معه، الذي يضع في هذا الوعاء الضخم ما يريد، فبعضنا لا يضع إلا الحقيقة، والبعض الآخر لا يتوارى عن إضافة الأحداث الكاذبة المزيفة. واستمرار أهمية التاريخ ودوره الفاعل في حياة أي مجتمع يعتمد على معيار وحيد -في تصوري- وهو "هدف المجتمع ورؤيته من التاريخ"، فالمجتمع الذي يقبل المبالغات والأحداث المزيفة وينتشي بها، مثل مجتمعات العالم الثالث ومنها العربي؛ التاريخ وبالأعلى عليه، بل يصل إلى درجة أن يكون التاريخ أفيونًا مخدرًا لها وعائقًا للاستفادة الصحيحة لنعمة العقل؛ فيستمتعون بالماضي، ليس للاستفادة منه في حاضرهم ومستقبلهم؛ بل بهدف التفاخر والاعتزاز الكاذب. وهذا المنهج

رسخته القيادات والأنظمة السياسية -خصوصًا التي تأخذ ظاهريًا منهج التقدمية- وتبنيها لهذا المنهج يهدف إلى تخفيف الضغط عليها من شعوبها وإيجاد مبررات فشلها في تغيير الأوضاع السيئة لبلدانها ومجتمعاتها؛ والمثير أن الدول الغربية قبل تركها للبلدان التي استعمرتها شجعت وهيأت الطريق لهذا الفكر والمنهج الذي يتمثل في التفاخر بالماضي، فبثّ الروح القومية المزيفة في هذه المجتمعات هو من أهم عوامل تأخرها؛ فالإيمان بتاريخ زائف قائم على إنجازات كاذبة قاد هذه المجتمعات إلى التخلف الحضاري.

أما المجتمعات المتحضرة التي تؤمن أن التاريخ ليس إلا وقودها للمستقبل، والمساعد على حل قضايا حاضرها وأساس مستقبلها، فلا ترى التاريخ، إلا: "خطة استراتيجية" تسير عليه ليس للوصول إلى القمة؛ بل والمحافظة عليها. وهذا هو الفارق بين الفهمين الحقيقي والخاطئ للتاريخ، فالأول يجعله سلم للعلو والارتقاء وتجنب ما يعيق التطور والتقدم، والثاني يأخذه كفيلم سينمائي يستمتع به، وبعد انتهائه يعود إلى طبيعته، بمعنى يأخذه للتسلية وخلق بيئة كاذبة مزيفة.

والذي لا شك عندي بعد هذه التأملات أن "المملكة اليهودية المزعومة" لم يكن لها وجود في التاريخ العربي اليمني، ولم يكن اتخاذ "ذي نواس" للعقيدة اليهودية -إن صح هذا- إلا وسيلة لجذب عدد من القبائل اليمنية التي وجدت في التغلغل المسيحي الحبشي والهيمنة الواضحة لهم على مناخ الحياة أمرًا غير مقبول؛ وقد نجح "يوسف أسار" في ضمه عدد من القبائل لتحقيق هدفه، وحاول بث الروح القومية، إلا أن النتيجة النهائية لانتقاء الاستراتيجية الصحيحة، انتهت بفشل أهدافه وكما يقال انتحاره في البحر.

وكان دافع الأحداث والروايات التاريخية التي أضفتها المصادر الإسلامية -مع الأسف- سياسيًا (شعوبيًا) بحثًا تمثل في الصراع الشمالي والجنوبي، إضافة إلى رغبة أهل شبه الجزيرة الجنوبيين في سحب البساط من الشماليين الذين انتقلت إليهم السلطة بعد اتخاذ الأمويين لدمشق عاصمة لهم وبغداد عاصمة للعباسيين. ومع الأسف استمر المؤرخ المعاصر للأسباب ذاتها في الترويج لهذا الإنجازات الزائفة التي تجد رواجًا من لدن المجتمعات المتخلفة. ودراسات النقوش الكتابية المعاصرة -الأكثر إلى حد ما مصداقية من المصادر التاريخية- تنفي هذه الروايات المشوشة، وتؤكد أن اليمن السعيد في الستة قرون من 30 ق. م إلى 600م، مرّ بتاريخ مضطرب وغير واضح، نحو تعدد الذين لقبوا أنفسهم بملك سبأ وذي ريدان مع تعاصرهم الزمني، مثل: "ال شرح يحضب" الذي لُقّب في نصوصه بملك سبأ وذي ريدان، وهو اللقب الذي حمله في الوقت نفسه ملك من حمير. وهذا يعكس الوضع السياسي المليء بالنزاعات الداخلية والحروب المتواصلة بين الفئات الأرستقراطية العليا (سادات: همدان، حمير وحضرموت وقتبان وأقيال وأدواء)، فكلهم انتهزوا هذا الاضطراب السياسي والأزمة الاقتصادية وأرادوا أخذ مكتسبات على الأرض.

وأخيرًا أقول إن من أسباب دخول شبه الجزيرة العربية مرحلة التخلف الحضاري وعدم الاستقرار السياسي في الفترة الحميرية وغيرها من الفترات المبكرة والمتأخرة، يعود إلى عدم أخذنا في الحسب أن أمران، أولهما تقلبات الزمن، وثانيهما ردود فعل الشعوب والمجتمعات الأخرى. فهذه الشعوب والمجتمعات لن تتردد فيحال تعرضها لما يهدد وضعها ابتداء طرق وأساليب أخرى كي تتال مبتغاها وتتركنا في أحلامنا الخيالية؛ لذلك سعى الغرب -بعد مبالغاتها في أسعار المنتجات واحتكارها- إلى اكتشاف الرياح الموسمية، وأنشأ الشرق طريق الحرير؛ وهكذا سقطت أهمية منطقتنا العربية. أما ديفيد وأمثاله، فسيظل يعيش في أحلامه التي تقضي عليها الحقائق الدامغة.

ملحق النقوش:

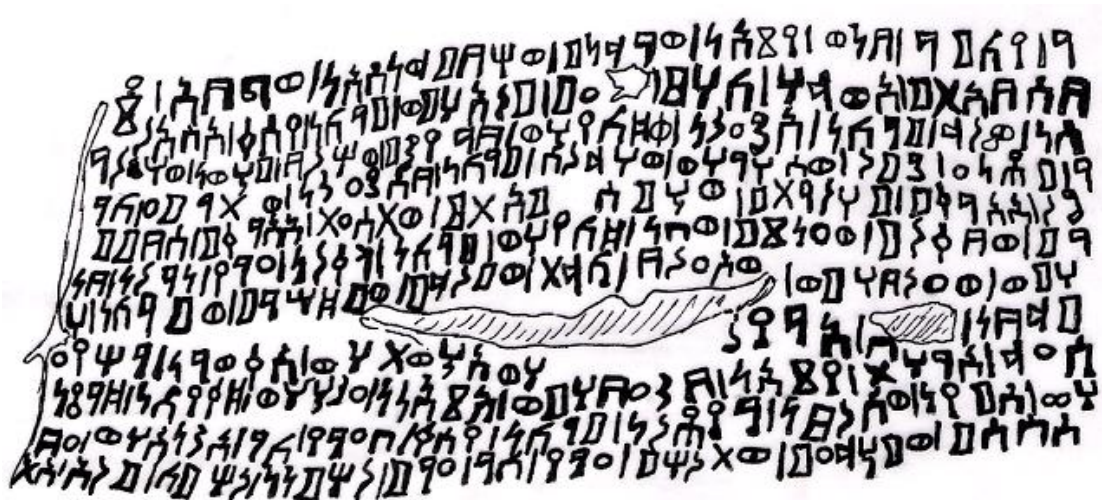
النقش رقم (1)¹⁹:

Ry no. 508; Ryckmans, Gonzague 1953: pp. 267-317;

العنبي، 2006م، نق 87؛ العنزي، 2004م، ص 238 - 242؛ الذيب، 2018م، ص ص 37 - 44.



¹⁹ يؤرخ هذا النص لحملة الملك يوسف أسار على مدينتي ظفار ونجران، بهدف تطهير البلاد من الأحباش ومعاقبة نصارى نجران. وقد أسفرت الحملة عن نتائج قد يعدها البعض من المبالغات، وتمثلت هذه النتائج في: "1300 قتل و"9500 أسيراً والإستيلاء على "280.000 ألفاً من الإبل والبقر والماعز، للمزيد أنظر الذيب، 2018م، ص 41 - 44).



- 1- ق ي ل ن / ش ر ح إ ل / ي ق ب ل / ب ن / ش ر ح ب إ ل / ي ك م ل / ب ن و / ي ز أ ن / و ج د ن م / و
ح ب م / و ن س أ ن / و غ ب أ
- 2- ت س ط ر و / ب ذ ن / م س ن د ن / ذ ش م / و ب س ب أ ت م / أ و د هـ / ك هـ م / ع م / م ر أ هـ م
و / م ل ك ن / ي س ف / أ س أ ر
- 3- ع ل ي / أ ح ب ش ن / ب ظ ف ر / و د هـ ر / و ق ل س ن / و و ر د / م ل ك ن / أ ش ع ر ن / و ذ ك ي
هـ و / ب ج ي ش م / و ح ر ب / م خ و ن / و هـ ر ج
- 4- ك ل / ح و ر هـ / و و د هـ / ر ق ل س ن / و ح ر ب / ك ل / م ص ن ع / ش م ر / و س هـ ل هـ و / و هـ
د ر أ / م ل ك ن / ب أ ش ع ر ن / و ت ج م ع / ك ل
- 5- ذ هـ ر ج و / و غ ن م / و أ ج ي ش / م ل ك ن / ث ل ث ت / ع ش ر / أ أ ل ف م / م هـ ر ج ت م / و خ م
س / م أ ت م / و ت س ع ت / أ أ ل ف م / س ب م م
- 6- و ث م ن ي / و ث ت ي / م أ ت ن / أ أ ل ف م / أ ب ل م / و ب ق ر م / و ع ن ز م / و ب ن / ذ ك ي هـ
و / م ل ك ن / ل ق ر ن / ع ل ي / ن ج ر ن / ب ن

- 7- ق ر م / ب ن / أ ز أن / و ب أش ع ب / ذ ه م د ن / و ه ج ر ه م و / و ع ر ب ه م و / و أ ع ر ب / ك د ت / و م ر د م / و م ذ ح ج م / و م ل ك ن / ه
- 8- ر ز ي / ب م ق ر ن ت / ح ب ش ت / و ل ص ن ع ن / س س ل ت / م د ب ن / ب أ ج ي ش ه و / و ع م ه و / أ خ و ت ه و / أ ق و ل ن / ل ح ي ع
- 9- ت / ي ر خ م / و س م ي ف ع / أش و ع / و ش ر ح ب إ ل : أ س ع د / أ ل ه ت / ي ز أن / ب ش ع ب ه م و / أ ز أن ن / و ر خ ه و / ذ ق ي ظ ن / ذ ل ث ل
- 10- ث ت / و ث ل ث ي / و س ث / م أ ت م / و أ ل ه ن / ذ ل ه و / س م ي ن / و أ ر ض ن / ل ي ص ر ن / م ل ك ن / ي س ف / ب ع ل ي / ك ل / أ ش ن أ ه و / و ب
- 11- خ ف ر / ر ح م ن / ن ذ ن / م س ن د ن / ب ن / ك ل / خ س س س م / و م خ د ع م / و ت ر ح م / ع ل ي / ك ل / ع ل م / ر ح م ن / ر ح م ك / م ر أ ت
- القراءة:

- 1- القليل شرح إيل يقبل بن شرحب إيل يكمل بنو يزأن وجدن ونسأن وغبأ
- 2- سطوروا بهذا النص ما حققوه بحملة تغلبوا بها عندما هاجموا مع سيدهم الملك يوسف أسأر
- 3- على الأحباش بظفار وأحرقوا الكنيسة ونزل أو رد الملك الأشاعر، وأرسله بجيش وحارب المخا وقتل
- 4- كل مستعمرها، وأحرق الكنيسة، وحارب كل حصون شمر وسهوله وفتك الملك بالأشاعر، وتجميع (إحصاء) كل
- 5- ما قتلت وغنمت جيوش الملك، ثلاثة عشر ألف قتيل، وخمسمئة وتسعة آلاف سبي
- 6- وثمانين ومئتي ألف إيل وبقر وماعز، وفيما بعد أرسله الملك للهجوم على نجران
- 7- بصفوة من اليزنيين وبشعوب من قبيلة همدان حضرهم وبدوهم، وأعراب كندة ومرد ومذحج، والملك
- 8- لجأ لحصار الحبشة، وإقامة تحصينات المنذب بجيوشه، ومعه إخوته الإقيال لحية عت
- 9- يرخم، وسميفع أشوع، وشرحب إل أسعد، سادة يزأن بقبيلتهم اليزنية وتاريخه ذو القيظ لسنة ثلاث
- 10- وثلاثين وستمئة، والإله الذي له السماء والأرض لينصرون الملك يوسف على كل أعدائه
- 11- وهذا النص بحماية الرحمن من كل خسيس ومخادع، وترحم على كل العالم يا رحمن، رحماك فالرب أنت.

النص رقم (2)²⁰:

العنبي، 2006م، نق88

- 1- ل ي ب ر ك ن / أ ل ن / ذ ل ه و / س م ي ن / و ا ر ض ن / م ل ك ن / ي و س ف / ا س أ ر ي ث أ ر / م ل / ك ل / أ ش ع ب ن / و ل ي ب ر ك ن / أ ق و ل ن /

²⁰ نص أشار فيه الملك يوسف أسأر يثار إلى حملته على ظفار ونجران والجهة المقابلة لباب المنذب، نظرًا لخوفه من التدخل الأحباش، لصدده عن تظهير البلاد من النصاري. وكانت نتائجها كما قال في نصه: "12500" قتيل، و"11000" من السبايا "290000" من الإبل والبقر والضأن.

- 2- ل ح ي ع ت / ي ر خ م / و س م ي ف ع / أ ش و ع / و ش ر ح أ ل / أ ش و ع / و ش ر ح ب أ ل / أ س ع د / ب ن ي / ش ر ح ب أ ل / ي ك م ل / أ ل ه ت / ي ز أ ن / و ج د ن م / خ /
- 3- ص ر و / م ر أ ه م و / م ل ك ن / ي و س ف / أ س أ ر / ي ث أ ر / ك د ه ر / ق ل س ن / و ه ر ج / أ ح ب ش ن / ب ظ ف ر / و ع ل ي / ح ر ب / أ ش ع ر ن / و ر ك ب ن / و ف ر
- 4- س ن / و م خ و ن / و ع ل ي / ح ر ب / و م ق ر ن ت / ن ج ر ن / و ت ص ن ع / س س ل ت ن / م د ب ن / و ك ج م ع / ع م ه و / و ك ي ذ ك ي ن ه م و / ب ج ي ش م / و ك ذ ه ف ل ح
- 5- و ه ف أ ن / م ل ك ن / ب ه ي ت / س ب أ ت ن / خ م س / م أ ت م / و ث ن / ع ش ر / أ أ ل ف م / م ه ر ج ت م / و أ ح د / ع ش ر / أ أ ل ف م / س ب ي م / و ت س ع ن
- 6- و ث ت ي / م أ ت ن / أ أ ل ف م / أ ب ل م / و ب ق ر م / و ض أ ن م / و ت س ط ر و / ذ ن / م س ن د ن / ق ي ل ن / ش ر ح أ ل / ذ ي ز أ ن / ك ق ر ن / ب ع ل ي / ن ج ر ن
- 7- ب ش ع ب / ذ ه م د ن / ه ج ر ن / و ع ر ب ن / و ن ق ر م / ب ن / أ ز أ ن ن / و أ ع ر ب / ك د ت / و م ر د م / و م ذ ح ج م / و أ ق و ل ن / أ خ و ت ه و / ب ع م / م ل ك ن / ق ر ن م
- 8- (ب) ب ح ر ن / ب ن / ح ب ش ن / و ي ص ن ع ن / س س ل ت / م د ب ن / و ك ك ل / ذ ذ ك ر و / ب ذ ن / م س ن د ن / م ه ر ج ت م / و غ ن م / و م ف ر ن ت م / ف ك س ب أ ت م / أ و
- 9- د ه / ذ ق ف ل و / ا ب ت ه م و / ب ث ل ث ت / ع ش ر / أ و ر خ م / و ل ي ب ك ن / ر ح م ن / ب ن ي ه م و / ش ر ح ب أ ل / ي ك م ل / و ه ع ن / أ س أ ر / ب ي / ل ح ي ع ت
- 10- و ل ح ي ع ت / ي ر خ م / ب ن / س م ي ف ع / و م ر ث د أ ل ن / ي م ج د / ب ن / ش ر ح أ ل ا ل ه ت / ي ز أ ن / و ر خ ه و / ذ م ذ ر أ ن / ذ ل ث ت / و ث ل ث ي
- 11- و س ث / م أ ت م / و ك ب خ ف ر ت / س م ي ن / و ت د ي ن / و أ أ ذ ن / أ س ن / ذ ن / م س ن د ن / ب ن / ك ل / خ س س م / و م خ د ع م / و ر ح م ن ن / ع ل ي ن / ب
- 12- ن / ك ل / م خ د ع م / ذ ي خ م ص ه و / و ت ف / و س ط ر / و ق د م / ع ل ي / س م / ر ح م ن ن / و ت ف / ت م م / ذ ح ض ي ت / ر ب ه د / ب م ح م د

- 1- ليبارك الن الذي له السماء والأرض الملك يوسف أسأر يثأر ملك كل الشعوب وليبارك الإقبال
- 2- لحيعة يرخم وسيفع أتبع وشرح إيل أشوع وشرحبيل أسعد أبناء شرحب إيل يكمل، أولئك النفر من يزأن وجدن
- 3- المناصرون (ل) سيدهم الملك يوسف أسأر يثأر عندما أحرق القليس وقتل الأحباش بظفار وانتصروا على محاربة الأشاعة والركب وفرسان
- 4- والمخا وانتصارهم على قوات نجران، وقاموا بتحسين كثران المنذب وعندما تجمعوا حوله (الملك) أمدهم بجيش
- 5- وعندما ظفر بهذه الغزوة بخمسائة واثنى عشر ألف قتيل وإحدى عشر ألف من السبايا
- 6- ومائتين وتسعين ألف من الإبل والبقر والضأن، وكتب هذا النص الفيل شرح إيل يزأن عندما حارب ضد نجران
- 7- بشعب همدان حضر وبدو وصفوة يزأن وأعرب كندة ومراد ومذحج والأقبال أخونه مع الملك (يرابطون)

8- في البحر من حبشت ويقومون بتحسين أراضي المندب الرملية وكل ما ذكروا بهذا النقش من انتصارات والغائم والحملات العربية

9- (حدثت) قبل أن يعودوا إلى ديارهم بثلاثة عشر شهرياً وليبارك الرحمن أبناء لحيعت

10- ولحيعت برخم من سميعف ومرثد ألن يمجد بن شرح إيل سادة يزأن أرخه في ذي مذران من علم ثلاثة وثلاثين

11- وستمائة (وكتبه) بحماية السماء وولاء وقوة الأيسين (القادة الكبار) هذا المسند (النص) من كل خسيس ومخادع والرحمن

12- (يحميه) من كل مخادع يحاول مسحه صاغ واطر وقدم باسم الرحمن صاغة تميمذ حظيت رب هود بالحمد.

المصادر والمراجع:

بافقيه، محمد عبد القادر.، (1985م) تاريخ اليمن القديم، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

بافقيه، محمد عبد القادر.، (2007م) توحيد اليمن القديم: الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي، ترجمة: علي محمد زيد، صنعاء: المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية.

البكر، منذر عبد الكريم.، (1980م) دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام: تاريخ الدول الجنوبية في اليمن، البصرة: جامعة البصرة.

بيستون، جاك، ركانز.، محمود، الغول.، والتر، مولر.، (1982م) المعجم السبئي (بالإنجليزية والفرنسية والعربية)، لوفان لانف: دار نشر يات بيترز، بيروت: مكتبة لبنان.

الجرو، أسمهان سعيد.، (2003م) دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، عمان: دار الكتاب الحديث.

دلو، برهان الدين.، (2004م) جزيرة العرب قبل الإسلام: التاريخ الاقتصادي - الاجتماعي - الثقافي - السياسي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، بيروت: دار الفرابي.

الذبيب، سليمان بن عبد الرحمن.، (2010م) مدونة النقوش النبطية في المملكة العربية السعودية، الرياض: دار الملك عبد العزيز، (مجلدان).

الذبيب، سليمان بن عبد الرحمن.، (2011م) التاريخ السياسي للأنباط، الرياض: الهيئة العامة للسياحة والآثار.

الذبيب، سليمان بن عبد الرحمن.، (2013م) "الموسم السادس للفريق السعودي - الفرنسي في منطقة نجران: مسح النقوش (2013م)"، كندة، العدد الثامن، ص 33-46.

الذبيب، سليمان بن عبد الرحمن.، (2015م) الحملة الرومانية الأولى على جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، في: قراءات العدد الثاني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

- الذبيب، سليمان بن عبد الرحمن.، (2018م) الكتابات العربية القديمة المملكة العربية السعودية، في: كتاب مجلة العربية، رقم 266.
- الذبيب، سليمان بن عبد الرحمن.، محمد علي الحاج.، (2020م) نقوش عربية قديمة وإسلامية من منطقة نجران: المملكة العربية السعودية، الرياض: جامعة الملك سعود.
- الروبي، آمال.، محمد جلال محمود.، (2017م) دراسات في تاريخ وحضارة شبه الجزيرة العربية، القاهرة: جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا.
- شرف الدين، أحمد حسين.، (1990م) اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين: دراسة جغرافية، تاريخية، سياسية شاملة (مزينة بالصور والخرائط)، الرياض: مطابع الفرزدق التجارية.
- عبد الحميد، سعد زغلول.، (1976م) في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- عبد الله، يوسف محمد.، (1990م) أوراق في تاريخ اليمن وآثاره: بحوث ومقالات، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر.
- العنبي، محمد بن سلطان.، (2007م) التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ: من خلال النصوص منذ القرن السادس ق. م حتى القرن السادس الميلادي، الرياض: وزارة التربية والتعليم، وكالة الآثار والمتاحف.
- علولو، غازي.، (2011م) نقوش صفوية جديدة من جنوب سوريا: دراسة تاريخية تحليلية، دمشق: منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، وزارة الثقافة منشورة، قسم النقوش، معهد الآثار الأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك - أربد - الأردن.
- علي، جواد.، (1977م) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار العلم للملايين، بغداد: مكتبة النهضة.
- العنزي، ناصر بن محمد (2004م) نقوش عربية جنوبية قديمة من جبال كوكب دراسة تحليلية مقارنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.
- الغنطوسي، عبد الرحمن إبراهيم، نجلاء محمد محمود.، (2015م) غزو الأحباش لليمن بين الرواية التاريخية والآثار المكتشفة، عمان: دار مكتبة الكندي للنشر والتوزيع.
- ابن صراي، حمد بن محمد (1997م) تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، رأس الخيمة: مركز الخليج للكتب.
- القحطاني، سميرة بنت عبد العزيز.، (2001م) حملة أصحاب الفيل على مكة خلال القرن السادس الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، الرئاسة العامة لتعليم البنات، وكالة الرئاسة لكليات البنات، كلية التربية للبنات بالرياض.
- قروم، نايف.، (2008م) اللبان والبخور: دراسة لتجارة البخور العربية، ترجمة: عبد الكريم بن عبد الله الغامدي، الرياض: جامعة الملك سعود، النشر العلمي.

المريخي، مشلح.، (2009م) "طرح جديد حول منشأ الحرف العربي وموطنه الأصلي في ضوء مكتشفات أثرية جديدة"، في كتاب: دراسات في الآثار، الكتاب الثاني- بحوث علمية محكمة، جامعة الملك سعود كلية السياحة والآثار- قسم الآثار، ص ص 97- 132.

مهران، محمد بيومي.، (1980م) دراسات في تاريخ العرب، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر.

الناشري، علي محمد.، (2007م) اليمن في عصور ملوك سبأ وذي ريدان من القرن الأول إلى منتصف القرن الثاني الميلادي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم التاريخ.

النعيم، نورة بنت عبدالله.، (1992م)، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد إلى الثالث الميلادي، الرياض: دار الشواف للنشر والتوزيع.

النعيم، نورة بنت عبدالله.، (2000م) التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية.

هبوا، (1990م) تاريخ العرب قبل الإسلام: السياسي والحضاري، حلب: منشورات جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

يعقوب، اغناطيوس.، (1966م) الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية، دمشق: المجلة البطركية.

Corpus Inscriptionum Semiticarum, Paris quarta Inscriptiones Himyariticas et Sabaeas continens, Tomus I, II, III.

Costaz, L., (1963) Dictionaire Syrique - Français, Syriac - English Dictionary Beirut: Imprimerie Catholique.

Gadd, C., (1958) "The Harran Inscription of Nabonidus", AS 8, pp.36-91.

Hoftijzer, J., Jongeling, K., (1995) Dictionary of the North - West Semitic Inscriptions, Leiden: E. J. Brill.

Leslau, W., (1987) Comparative Dictionary of Ge'ez (Classical Ethiopic): with an index of the Semitic roots, Wiesbaden: Otto-Harrassowitz.

Moberg, A., (1924) The Book of the Himyarites Fragments of the a Hitherto Unknown Syriac Work, London: Humphrey Milford.

Noja, S., (1979) "Testimonianze epigrafiche di giudei nell'arabia settentrionale", BO 21, pp.283-316.

Robin, Ch; Ali al-Ghabban; Said al- Said., (2014) Inscriptions antiques de la région de Najrān (Arabie Séoudite méridionale) nouveaux jalons pour l'histoire de l'écriture, de la langue et du calendrier arabes, CRAI III(juillet – octobre), pp. 1044- 1128.

Ryckmans, Gonzague., (1939) Inscriptions sud-arabes. Cinquième série", Le Muséon, 52, pp. 51-112.

Ryckmans, Gonzague., (1953) *Inscriptions sud-arabes. Dixième série*", Le Muséon, 66, pp. 267-317.

al- Theeb, S., (2018) "Nabataean inscriptions from southwest of Taymā'", Saudi Arabia", *Arabian Epigraphic Notes* 4, pp. 107–132.

Winnett, F., (1957) *Safaitic Inscriptions from Jordan*, Toronto: University of Toronto Press.